الأحد 22 ذي الحجة 1426 هـ - 22 يناير 2006 - السنة 34 - العدد 11721

وقفة تبجيل مع المغفور له الراحل جابر الكويت

بقلم: حمد محمد المرعي

يصعب الحديث في هذا اليوم الحزين عن جابر الشعب، وتزدحم المشاعر بما زخر في عهده وعلى يديه من انجازات ومبادرات، ويعجز اللسان والقلم عن وصف ما وهبه الخالق له من حسن حكمة وحسن قرار، ولا يمكن لاحد الاضافة إلى ما اضيف، او لا حاجة إلى النبش في ما لم ينبش - فإنها صفحة بيضاء سادها بياض اعمال وسادها بياض اقوال، وسادها فوق كل هذا وذاك بياض سماحة وتواضع.

وحيث المجال لا يجيز وحيث المرء لا يستدرك في وهلة لما هنا ولما هناك من وفير ما امله جابر الكويت، لكن وقفة قصيرة تبرز كيف يجمع الامير الحاكم تفاصيل امور وجزئيات احوال متباعدة كل البعد فيما بينها - وهي امور وجزئيات لا يمكن ان تكون من التزامات الحاكم ناهيك عن ان تكون في اي من قواميسه.

وقفة قصيرة لم تكن موضوع مجالستي معه ذات يوم قبل ربع قرن، بل كانت في كلام عابر، وكان الحديث عن طريقة نقل المياه في الايام الخوالي من تاريخ الكويت.. وكانت الوسيلة آنذاك هي الدواب.. وكنت اخلط في تسمية الحمير بالبغال، وكان يصلح وبدون ملل وباستمرار ويعيد ويكرر انها ليست بغالا بل حمير، وانها لم تكن تسمى بغالا بل حمير - فكان حريصا على التسمية وكان حريصا على اللغة، وهذا ما يسمى بالدقة والتدقيق، وبأن تكون الاشياء في مكانها الصحيح وبشكلها الصحيح، حتى في هكذا مواضيع (وطبعا من بين امور اخرى بلا ادنى شك اكثر اهمية واكثر لزومية مما لا يخفى على الجميع».

وفي وقفة قصيرة اخرى اتذكر حين استدعاني ذات يوم من ايام عام ١٩٨٠ وكانت لموضوع آخر ابدى فيه من الحكمة في الاقتصاد والتسويق ما ابداه من نظرة ثاقبة متعمقة لا يلتفت لها حتى القليل - لا من اساتذة الاقتصاد ولا من العاملين في الاسواق ولا من شريحة المواطنين المسؤولين.

لكن ما طرحه في تلك الجلسة (ولا اظنه من عابر الكلام) من سؤال واضح وصريح وهادف بقوله: «اخ حمد.. لماذا نجد الكويتيين عندما يذهبون الى خارج البلاد نجدهم ينتظمون لانظمة البلاد المسافرين اليها وينضبطون لقوانينها ويحافظون على نظافتها ونظام المرور فيها ويتحضرون في طريقة تعاملهم مع الآخرين اما في بلادهم الكويت ووطنهم فإن العكس هو ما يحدث!». انه لسؤال محير وان الاجابة عنه لتتطلب موسوعات في علم النفس وعلم الادارة وعلم التربية... الخ.

الا ان الامر حول الشيخ جابر لم يكن في هذا ولا في ذاك... بل ومن التمحص في ما اوردناه اعلاه وقراءة لما بين السطور لن نجد الا ما هناك من الملم موسوعي واهتمام حتى بصغير المفردات وبصغائر الامور... وان ما نظنه - وهو ظن صحيح وفي مكانه، ان مثل هذه المواضيع ليست من شأن الحاكم او ليست من اهتماماته لتوجب إعادة النظر عندما يكون الشيخ جابر هو موضوعنا.

حيث انه ليتبين بالدليل القاطع ومع واحد من عموم الشعب ما في قلب هذا الرجل من حرص خاص، ومدى ما هناك من اخلاص خالص من جابر لشعب الكويت وكما للغير - رحمه الله واسكنه فسيح جناته.